سيناريوهات تطور الملف النووي الإيراني

أ/ مناس مصباح

إن قيمة الدراسات السياسية لا تتحدد إلا بمدى قدرتها على التنبؤ أو ما يسمى بالإستشراف في علم المستقبليات ولعل من أهم المواضيع الراهنة والأكثر إثارة للجدل هي ما يسمى بالملف النووي الإيراني. والذي أحسب نفسي أحد متتبعيه. وأحاول من خلال هذه الدراسة أن أضع بعض السيناريوهات المحتملة لمسار الملف النووي الإيراني وهذا بترجيح كفة أحدها على الأخرى بالاعتماد على أدلة وبراهين وقناعات شخصية. قد أكون صائبا فيها كما قد أكون مخطئا. وعموما فإنني سأعتمد على الخطة التالية:

1- الخريطة النووية الإيرانية
2- معوقات البرنامج النووي الإيراني
3- السيناريوهات المحتملة
4- ماذا تستفيد الجزائر من التجربة الإيرانية ؟

إن كل المتتبعين لتطور الملف النووي الإيراني يدركون تماما حجم الجهود التي تبذلها إيران قصد التحكم في تقنية تخصيب اليورانيوم، والذي تمتلك منه خزانا كافيا لكن يبقى التساؤل مطروحا ما هي سيناريوهات تطور الملف النووي الإيراني ؟

أولا: الخريطة النووية الإيرانية:

إن المفارقة الكبيرة في البرنامج النووي الإيراني، هي أن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية هي من شجعت إيران منذ خمسينيات القرن الماضي على بناء مركب نووي إيراني وهذا في فترة الشاه محمد رضا بهلوي، والذي كان حليفا للولايات المتحدة والدول الغربية لكن الوضع تغير مع نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 وتحولها من دولة حليفة إلى دولة معادية. مما اضطرها لانتهاج دبلوماسية جديدة وفك الحصار على المساعي الإيرانية لامتلاك التقنية الذرية.

ويمكن تحديد الخريطة النووية الإيرانية كما هو موثق في النقاط التالية:

1- مفاعل بوشهر:

وهما عبارة عن مفاعلين ألمانيين، قامت شركة سيمانس بإنجاز85٪ من الأول بينما لم يتجاوز الثاني حدود 2 ٪ من الإنجاز

وهذا عام 1976في مدينة بوشهر التي تبعد عن العاصمة طهران 730ميلا.

2- مركز طهران:

و هو يضم مفاعلا نوويا بطاقة 5 ميغاوان، تم إنجازه من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، ويهتم بأبحاث الليزر المخصب ، ونقلت معظم أبحاثه إلى أصفهان عام 1987.

3- منشأة أصفهان:

بدأ العمل بها سنة 1984، وأصبحت المفاعل الرئيسي للأبحاث عام1987 وتم تصميمها لبناء مفاعل نووي بطاقة 27 ميقاوات من إنجاز صيني والتي زودت بها تكنولوجيات المفاعلات ودورة الوقود النووي واليورانيوم المخصب .

4- مركز خرج:

و هو مركز أبحاث طبي حصلت عليه من بلجيكا.

5- موقع جورجان:

وهو موقع مصمم لبناء محطة طاقة نووية بها مفاعلات بطاقة 440 ميقاوات ومن إنجاز روسي.

6- معلم كيلاية:

وهو موقع كان مخططا لإنجاز مفاعل أبحاث من طرف الهند وتم إلغاؤه فيما يعد. وتابع لمنظمة الطاقة النووية الإيرانية .

7- ساغهاند:

يقع في إقليم يزد وهو مخطط لمنجم اليورانيوم الذي توجد به كميات تصل إلى 5000طن على الأقل. وقد بدأت الحكومة في عام 1989 ببناء مصنع لأكسيد اليورانيوم المشبع المعروف ب "الكعك الأصفر ".

8- دار خوين:

يضم محطة طاقة نووية بقوة 300 ميقاوات تقوم بإنجازه الصين.

9- موقع آراك:

أعلن خاتمي الرئيس الأسبق عن إتمام إنجازهما وهما عبارة عن منشأتين لتخصيب اليورانيوم، وهذا بتاريخ 09 فبراير 2003، وهو خاضع لرقابة الوكالة الدولية للطاقة .

10- موقع قم:

وهو الأكثر حداثة، وتم الكشف عنه سنة 2009 صمم لتخصيب اليورانيوم بنسبة قد تصل إلى 20٪.

هذا وتنوي إيران إنشاء 10مراكز أخرى جديدة وكل هذا دون الإفصاح عن أسرار نووية أخرى.

إن هذا المجهود الذي تقوم به إيران يصطدم بمعوقات محلية وإقليمية ودولية، تعمل كلها كتيار معاكس للطموح النووي الإيراني.

ثانيا: معوقات البرنامج النووي الإيراني:

1-المعوقات المحلية:

يمكن أن نصنفها إلى ثلاثة أصناف، أولى سياسية و أخرى اقتصادية وثالثة طبيعية.

من الناحية السياسية يعتبر النظام السياسي الإيراني نظاما محافظا ومتطرفا من وجهة النظر الغربية والأمريكية بالأخص، فالمرجعية الدينية متمثلة في علي خامنئي ومن قبله الإمام الخميني. تعتبر اللبنة الرئيسية لهذا النظام وكي تضمن المشروعية والدعم الشعبي كان لزاما عليها أن تتخذ خطوات خاصة بأم القضايا من الناحية العقائدية وهي القضية الفلسطينية ،وضرورة تحرير أرض فلسطين ودحر الجيوش الغربية المتواجدة في العراق و الخليج فيما بعد.

إن هذا التوجه السياسي الإيراني يعتبر بحد ذاته عائقا لأن إسرائيل هي دولة حليفة لأمريكا و الدول الغربية ، ولها علاقات مع روسيا والصين والهند ،وكل هذه الأطراف هي المصادر الرئيسية للتقنية النووية . وخاصة روسيا التي بدأت منذ عام 1998 في استكمال إنجاز مفاعل بوشهر الذي بقيت روسيا تماطل في إتمام إنجازه حتى نهاية العام 2009 وهو يعتبر بمثابة القلب النابض للبرنامج النووي الإيراني.

وعموما فان طبيعة النظام الإيراني وتقاطع بقائه وشرعيته مع القضية الفلسطينية وحزب الله وسوريا كلها معوقات لتحقيق إيران أهدافها النووية أما من الناحية الاقتصادية فرغم ما تحويه إيران من ثروات طبيعية هائلة كالنفط والذي تعتبر الثانية في إنتاجه في دول الأوبك بحجم، إنتاج ما بين 3.5 إلى 6 ملايين برميل كأقصى طاقة إنتاجية والغاز الذي تمتلك منه ثاني احتياطي عالمي بعد روسيا. وهما يشكلان أكثر من 80٪ من دخل إيران من العملة الصعبة إلا أن هذا لا يخفي نقاط ضعف أخرى:

أ- إن خسائر حرب الخليج الأولى 80- 88 والمقدرة بأكثر من 300 مليار دولار مازالت تداعياتها مؤثرة على أداء الإقتصاد الإيراني الذي بلغ مستوى نموه في حدود 6٪ ولكن مع بطالة تتجاوز 11٪ وهذا قبل الأزمة الاقتصادية العالمية .

ب- إن البنى التحتية إما متقادمة أو متخلفة وزلزال بم الأخير لعام 2005 يؤكد مستوى الاختلال الذي تعانيه المقاطعات الإيرانية.

ج- إذا أخذنا بعين الاعتبار الناتج المحلي الإجمالي الذي يبلغ 513 مليار دولار حسب آخر الإحصائيات فإن متوسط دخل الفرد نسبة إلى هذا الناتج هي في حدود 7000 دولار وهذا على المستوى النظري،

بالمقابل فإن نسبة الفقر عالية وتتجاوز 30 ٪ في الكثير من المقاطعات وهذا راجع بالدرجة الأولى لنسبة الإنفاق العسكري العالية في مقابل ما تنفقه الحكومة على التنمية المحلية والشؤون الاجتماعية.

إن هذه النقاط تؤثر على المساعي الإيرانية النووية ضف إليها تكلفة هذا التوجه العالية التي دون شك ستثقل كاهل الحكومة الإيرانية رغم الإضافات الكبيرة في السنوات الأخيرة نتيجة ارتفاع أسعار البترول.

أما العوائق الطبيعية فلعل أكبر عامل هو الزلازل بحكم الموقع الإيراني في منطقة ذات نشاط زلزالي عنيف يكاد يشمل كل المناطق وطهران العاصمة مهددة بالزوال من الخريطة السياسية، وينصح الخبراء بنقلها إلى مكان أكثر أمنا. فإذا كانت الصين تتكبد خسائر في حدود 85 مليار دولار سنويا من الكوارث، فإن إيران أيضا تتكبد خسائر كبيرة تعد بالمليارات، وهو عامل ضاغط آخر على الطموح الإيراني، ضف إليه المخاوف من تأثير الزلزال على البنى التحتية الخاصة بالمنشآت النووية الإيرانية.

إن هذا المشهد الداخلي في أضلعه الثلاثة لا ينفصل عن ما يجري في الدائرة الإقليمية التي توجد فيها إيران، وهو ما يقودنا إلى التطرق إلى المعوقات الإقليمية

2- المعوقات الإقليمية:

رغم ما يعوق العمل الإيراني محليا إلا أنه تأكد أن لها مقومات قوة اقتصادية سبق الإشارة إليها وأخرى عسكرية بجيش يفوق تعداده بإضافة الاحتياط مليون جندي، وأكثر من 600 طائرة مقاتلة، إضافة إلى 4000 دبابة و2000 مدرعة والأهم من ذلك منظومة صواريخ متطورة يفوق مداها 2000 كلم، ناهيك عن تطوير طائرة استطلاع بدون طيار.

هذه المؤشرات العسكرية مع إضافة المؤشرات الاقتصادية تثير الخوف لدى الدول الإقليمية المحيطة بإيران والتي ترفض سواء علنا أو جهرا امتلاك إيران للترسانة النووية التي يختلف النظر إليها من طرف إلى آخر.

فالدول العربية بدءا من العراق ووصولا للدول الخليجية تخاف من تصدير الثورة الإيرانية وهذا بالتوسع الذي سيتعزز أكثر إذا امتلكت إيران هذه التقنية ولعل الطرف السعودي هو الطرف الأكثر قلقا من مزاحمة إيران لدور السعودية الإسلامي في المنطقة خاصة بعد التطورات الأخيرة في العراق، وتكريس سيطرة الشيعة مع الأكراد على مقاليد السلطة العراقية المقبلة. بينما تخشى دول الخليج الصغيرة من ابتلاع إيران لها خاصة وأن عددا كبيرا منها يحتوي على نسبة عالية من الشيعة

كالبحرين التي تصل إلى 80 بالمائة في حين نجد أن إسرائيل ترفض أن تكون هناك دولة تنافسها، وفي هذا الصدد تأتي لعبة الشك مع إسرائيل حول المعلومات الدقيقة لبرنامجها النووي الذي تقدره بعض المصادر بـ 200 رأس نووي مزودة بمنظومة صواريخ يصل مداها إلى باكستان شرقا والى دول المغرب العربي غربا.

مع منظومة أخرى من الصواريخ المضادة للصواريخ آخرها تجربة حيتس الناجحة وأيضا آرو 2 زائد القبة الفلاذية التي تعمل مع الرادار الكبير المنصوب من طرف الولايات المتحدة الأمريكية في صحراء النقب الذي بامكانه رصد جسم بحجم كرة البيزبول في مدى جغرافي يمتد إلى حوالي 3500 كلم مربع. ولقناعة إيران بأن الشك هو في حد ذاته ردع كما قالها شمعون بيريز فإنها ما تزال تؤكد على أن المنشآت النووية مصممة للأغراض السلمية بينما إسرائيل تؤكد أن هذه الدولة في طريقها لصناعة القنابل النووية ولذا يجب ردعها.

طرف مهم آخر يبدو أبعد نوعا ما جغرافيا ولكنه يبقى مؤثرا إقليميا وهو مصر التي وإن تحسنت علاقاتها مؤخرا مع إيران، فإنها تدعو إلى منطقة خالية من الأسلحة النووية ولا تستثني في ذلك إسرائيل.

إن هذه البيئة الإقليمية وإن اختلفت آراؤها فإنها تتفق جميعا على رفض المشروع النووي الإيراني.

هذه البيئة الإقليمية تتأثر بدورها بالبيئة الدولية ممثلة في النظام الدولي الذي تحركه الولايات المتحدة، والتي تصر على عدم امتلاك إيران لهذه التقنية.

3- المعوقات الدولية:

يعتبر زبيغنيو بريجنسكي مستشار الأمن القومي السابق في عهد كارتر وأحد العقول التي تخطط وتفكر لتحديد السبل والطرق والإستراتيجيات اللازمة لبقاء أمريكا القوة الأولى عالميا على الأقل حتى عام 2040، يعتبر أن إيران بحكم مقوماتها الاقتصادية والعسكرية إضافة إلى موقعها الجيوإستراتيجي وبمساحة تتجاوز 1.5 مليون كلم2، ومنافذ على بحر قزوين الذي توجد به احتياطات عالمية مؤكدة في حدود 12 بالمائة من البترول، وأخرى على الخليج العربي وسيطرة على مضيق هرمز يمكن لهذه الدولة أن تلعب دورا إقليميا مؤثرا، ولما أصبح النظام غير مرغوب فيه رغم التوجه البرغماتي، ومحاولات الانفتاح على العالم الخارجي خاصة بعد وصول خاتمي إلى الحكم، فإن الطموح الإيراني لامتلاك التقنية النووية، أصبح محل شك خاصة بعد اكتشاف منشأتي أراك

الخاصتين بتخصيب اليورانيوم ومصنع الماء الثقيل اللازم لتبريد المفاعلات، إضافة إلى موقع قم المكتشف حديثا. كل هذه العوامل جعلت الولايات المتحدة تتعامل مع الملف النووي الإيراني في ثلاثة محاور.

المحور الأول : الإصرار الدائم على نقل الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، والعمل على إنجاح هذه الخطوة بشتى الأساليب، وهو ما تحقق مؤخرا إضافة إلى العمل على تشديد العقوبات عليها باستصدار قرار جديد في مجلس الأمن يكون رادعا لإيران.

المحور الثاني : تشديد الضغط على الدول المساعدة لإيران والتي تعمل على إمدادها بالتكنولوجيا النووية والمعرفة الخاصة بهما. مثل روسيا والصين التي تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على كسب تأييدها لتشديد العقوبات وهذا باللجوء إلى خيارات صعبة كبيع أسلحة لطايوان واستقبال الدلاي لاما في البيت الأبيض.

المحور الثالث : المزاوجة بين الخيار الديبلوماسي والتهديد باستخدام القوة العسكرية ضد إيران.

بالنسبة للمحور الأول فإن آخر اجتماع لمجالس أمناء الوكالة الدولية للطاقة قرر عدم إحالة هذا الملف على مجلس الأمن وإعطاء فرصة لإيران لقبول المقترح الأوروبي الخاص بتحويل نشاطات التخصيب نحو روسيا، حتى تكون بمثابة صمام أمان للمجموعة الدولية في مواجهة الرغبة الإيرانية، وإيران قبلت أخيرا بتخصيب كمية من اليورانيوم في الخارج ولكن في نفس الوقت أعلنت عن زيادة التخصيب محليا بنسبة 20 بالمائة.

أما المحور الثاني، فإن أكثر ما تخافه هو التعاون الروسي الإيراني خاصة بعد صفقة أنظمة الصواريخ الـ 29 أس 300 وبقيمة 900 مليون دولار والتي أثارت استياء واشنطن وإسرائيل إضافة إلى الضغط الذي تمارسه عليها قصد عدم إكمال إنجاز مفاعل بوشهر فهو المشروع الإيراني الأهم، والذي انتهت روسيا مؤخرا من إتمام إنجازه.

إضافة إلى هذا استغلال التعاون مع الصين قصد تعطيل التعاون مع إيران وإفهام المجموعة الدولية بأنها خطر على العالم وليس على إسرائيل.

بينما نجد أن الطاغي الآن في المحور الثالث هو العمل الدبلوماسي لثني إيران عن الإستمرار في طموحاتها النووية ويبقى الخيار العسكري مرهونا بتطور الوضع العراقي، والتعامل الإيراني مع الوكالة الدولية للطاقة إضافة إلى تطور الأوضاع في الجبهة الأفغانية.

3- **السيناريوهات المحتملة: يمكن تحديد ثلاثة سيناريوهات:**

أ- سيناريو الثبات : وهذا يعني بقاء الأوضاع كما هي عليه: عدم تشديد العقوبات وعدم التوجه أيضا نحو العمل العسكري وهذا في اعتقادي يخدم إيران وعليه فإني أستبعد أن تبقى الأمور كما هي عليه الآن لأن كل المؤشرات الدولية توجيه الولايات المتحدة الأمريكية و من ورائها إسرائيل ودول إقليمية في المنطقة كالسعودية ومصر تعمل كلها لتشديد العقوبات الاقتصادية والمراهنة على الداخل الإيراني لإضعاف النظام من الداخل، وهذا أيضا يبقى مستبعدا رغم ما حدث بعد الانتخابات الرئاسية الأخيرة التي فاز فيها أحمدي نيجاد لأن غالبية السكان هم شيعة زيادة على أن التركيبة الإثنية يسيطر عليها الفرس بنسبة تتجاوز 52 بالمائة.

ب- سيناريو تشديد العقوبات: يبقى هذا السيناريو الأشد احتمالا في المستقبل القريب وهذا راجع إلى المشاكل الكبيرة التي تعانيها الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان بالأخص إضافة إلى العراق وهذا كله يعطي إشارة أن أمريكا لا تريد أن تتورط في حرب جديدة في المنطقة مكلفة جدا بشريا وماديا لأن الاقتصاد الأمريكي يعاني اختلالات كبيرة بحجم ديون يفوق 11 تريليون دولار ومنافسة اقتصادية شديدة من الحلفاء الإستراتيجيين كدول الإتحاد الأوروبي واليابان وبدرجة أقل كوريا الجنوبية.

ج- سيناريو الانفراج : هذا يعني عقد صفقة بين إيران والولايات المتحدة يتم بمقتضاها القبول بإيران كدولة نووية في مقابل ضمان المصالح الكبرى لأمريكا في إيران وفي المنطقة بما فيها القبول بدور إيراني إقليمي وفي اعتقادي أن هذا مستبعد أيضا لأن المشكلة في إيران هي في طبيعة النظام المرفوض دوليا من طرف أمريكا وإقليميا من طرف إسرائيل بدرجة أخص وبالتالي فالمطلوب هو تغيير النظام والملف النووي هو المدخل لتحقيق هذا الهدف الإستراتيجي.

د- سيناريو الحرب : يبقى هذا واردا أيضا إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقة الهدف الإستراتيجي كما أشرنا إليه سابقا وعليه فإن العمل العسكري وإن كانت كل المؤشرات تؤكد فداحة التكلفة لهذا الخيار فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد تلجأ إليه كآخر الخيارات الموضوعة على الطاولة لأنها لم تترك إيران تتعاظم في القوة العسكرية والاقتصادية زيادة على أمريكا تريد السيطرة على النفط الإيراني.

4- ماذا تستفيد الجزائر من التجربة الإيرانية : يمكن الإشارة للنقاط التالية :

أ- إن ما يحصل لإيران الآن من ضغوط وحملة شرسة من خلال البرنامج النووي الإيراني يمكن أن يحصل للجزائر أيضا إذا كان لها نفس الطموح وهو تحقيق إنجازات علمية في هذا المجال أو مجالات أخرى وعليه فإننا يجب أن نستفيد من طريقة تعامل إيران مع المجموعة الدولية ومدى نجاعة هذه الطريقة.

ب- إن إيران بما تمتلكه من مقومات اقتصادية وعسكرية وجيوإستراتيجية مؤهلة لأن تكون طرفا مهما في السياسات الإقليمية والدولية وطبيعي أن تكون طموحاتها كبيرة في لعب دور إقليمي ودولي يتناسب مع حجم القوة الإيرانية وهذا الوضع هو نفسه وضع الجزائر التي لها نفس المقومات أو أكثر وعليه فطموحنا أيضا يجب أن يبقى دائما في أن تكون الجزائر دولة مؤثرة إقليميا ودوليا نظرا لما تمتلكه من مقومات اقتصادية وعسكرية وجيوإستراتيجية.

ج- إن ما يحصل لإيران ليس بعيدا عن الجزائر وإن كانت المسافات الجغرافية تتباعد ونقولها صراحة إن كون إيران نووية فيه فائدة للجزائر ولكل الدول العربية لأن هذا يبقى رادعا للطموحات الإسرائيلية في المنطقة العربية وهي في نهاية المطاف ليس لها حدود.

يبقى أن نشير في الأخير أن إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية لن يعدما الوسيلة لمنع إيران من أن تصبح دولة نووية لأن هذا السيناريو هو مقدمة لتقويض المشروع الصهيوني في المنطقة وأيضا مقدمة لتراجع النفوذ الغربي في المنطقة الإسلامية عموما والعربية خصوصا.